

١٥ رجب سنة ١٣٢٩ الموافق ١٢ تموز Juillet سنة ١٩١١



تربية الناشئة وتعليمها

تتمة

«التعليم (Enseignement) قسمان عام وخاص فالعام تعليم المملكة باجمعها والخاص تعليم الافراد ويتفرع عن هذين القسمين ثلاثة اقسام التعليم الابتدائي وهو تعليم مبادىء العلوم واولياتها والتعليم الثانوي وهو تعليم العلوم واللغات والتعليم العالي وهو التعمق في تعليم الكليات بدروس خاصة

وهناك تعليم صناعي يختص في تعليم التجارة والصنائع والفنون [1]»

هذه هي اقسام التعليم اجمالا واختلاف الاسماء امور اصطلاحية ولا مشاحة في الاصطلاح فمن المضر جدا في التلميذ والمدرسة ايضا ادخال من لم يتعلم التعليم الابتدائي في المدارس الثانوية او ادخال المبتدىء في

(١) معجم لاروس

المدارس العالية رأسا فان الرقي التدريجي اضمن للنجاح والسير على السنن الطبيعية خير من الطفرة التي توقع صاحبها في الندم حيث تزل به القدم فيندم ولات حين مندم

اما العلوم التي يجب ان تعلم في المدارس فتختلف باختلاف الزمان والمكان ومهما يكن من الامر فقد اجمع اغلب المحققين على تعليم العلوم الدينية في المدارس لأن ذلك خير واسطة لتحلي الناشئ بحلى الفضيلة واحسن طريقة لابتعاده عن ارجاس الرذيلة فالدين للامراء افضل رابطة تربط المرء في رباط متين يدنيه من التخلق بالاخلاق المستحسنة ويبعده عن العادات الدنيئة المستهجنة ولا يمكن ان يحل محل الرباط الديني شيء آخر قطعا وأنا نرى المشهورين في الابتعاد عن الدين وجحود آياته لا يسعهم في حال من الاحوال الا المجاهرة بضرورية الدين لجميع البشر واليك ماقاله في هذا الصدد شيخ العلماء الطبيعيين الذي يزعم اغلب الناس بأنه من الملحدين

«ثم تقرر اخيرا (وسيعجب القارئ من هذا التقرير) ان للعلم الطبيعي فضلا على المعارف المعتادة في مدارسنا من حيث التهذيب الديني ولا نستعمل لفظتي طبيعي وديني هنا بالمعنى الضيق المعتاد بل باسمى واوسع معانيهما . والعلم الطبيعي مناقض لا شك للخرافات التي تغتصب اسم الدين ولكن لا تناقض جوهر الدين الذي تلتف عليه هذه الخرافات وتخفيه وكذلك يوجد في شيء كثير من العلم الطبيعي الشائع روح الزندقة ولكن العلم الصحيح الذي فات المعلومات السطحية ورسب في اعماق الحقيقة براء من هذه الروح

قال الاستاذ هكسلي في ختام خطب له « العلم الطبيعي الصحيح والدين الصحيح توأمان يذهب انفصال احدهما من الآخر بحياة الاثنين

وعلى قدر موافقة العلم للدين يكون نجاح العلم ونماوءه وكذلك الدين يكون نموه وفلاحه على قدر رسوخ اصوله في بطون العلم ومآثر الفلاسفة الجليلة اجدر بان تكون ثمار الروح الدينية التي وجهت اذهانهم الى اقوم مناهج التفكير من ان تكون ثمارا لتلك الاذهان ذاتها ولعل الحقائق آثرت ان تلقي بمقالدها الى صبر هوءلاء الفلاسفة وحبهم وصحة نياتهم وآثرتهم على ان تلقي بهذه المقالد الى ملكاتهم النظرية والاستدلالية

وليس العلم الطبيعي منافيا للدين بل المنافي للدين هو ترك ذاك العلم هو الامتناع من دراسة المخلوقات المحيطة بنا . واليك مثلا حقيرا . اذا كان احد الكتاب لاتزال الناس تمدحه وتثني عليه بابلغ عبارات الشكر والتمجيد واذا كانت مواضيع هذا الحمد والثناء هي حكمة موءلفات ذاك الكاتب وجلالها وجمالها . واذا كان مادحو تلك الموءلفات يكتفون بالنظر الى ظواهرها فهم لم يفتحوها قط ليفهموا ما تحتويه اي قيمة تكون لذلك الثناء والمدح ؟ هذه — اذا قست الامور — حال البشر عموما ازاء هذا الكون وصانعه . كلا بل الامر اسوأ فلم تكتف الناس بالمرور على هذه الاشياء التي يصفونها بالعجب والجمال دون ان يتأملوها بل تراهم كثيرا ما يذمون العصارفي بعض اوقاتهم في مشاهدة الطبيعة متهمين اياهم بتضييع الوقت في التوافه بل يحتقرون من اظهر اهتماما والتذاذا بغرائب صنع الله . لذلك نكرر القول بان مخالفة الدين ليست بدراسة العلم الطبيعي بل في ترك دراسته . فالتوجه للعلم الطبيعي عبادة صامتة . هي اعتراف صامت بنفاسة الاشياء التي تعاين وتدرس ثم بقدرة خالقها فليس التوجهُ للعلم تسبيحًا شفهيًا بل هو تسبيح عملي ليس

هو باحترام مدعى بل احترام اثبته تضحية الوقت والتفكير والعمل [1] »اه

علمت من ايرادنا هذا الكلام المطول اننا نتوخى تفهيم بعض المقلدين الناعقين مع كل ناعق ان كبار الفلاسفة وعظماء العالم يقيمون على ثبوت الدين الادلة والبراهين، ولنبين لبعض الجامدين ان العلوم الطبيعية من موءيدات الدين بل بدونها لا يمكن معرفة الخالق حق المعرفة وكيف يعرف الخالق من لم يدرس كنه مخلوقاته وعجائب صنعه (اولم يتفكروا في خلق السموات والارض) قل لي بربك هل تقاس معرفة العالم الزراعي بمعرفة الزراع البسيط الذي تلقى فن الزراعة عن ابيه وجده شتان بينهما ذاك درس طبائع الارض وتراكيبها وعرف جيد تربتها من رديئها فهو لا يزرع العدس في ارض لا تصلح الا لانبات الحنطة مثلا وهل يقاس علم من يعرف ان هذا الانسان مركب من اعضاء باطنية وظاهرية بعلم الطبيب الذي درس فن التشريح وعرف منافع الاعضاء واطلع على خفايا اسرارها واندهش من تلك الخلايا والاعصاب والشرايين وربطها ببعضها بحيث اذا اختل عمل من اعمالها توقفت الحركة وقضي على الانسان في الموت او السقم

فيجب اذا ان نعلم في مدارسنا اصول الدين وفروعه ثم نتبع ذلك بتعليم العلوم الطبيعية التي تعد متممة للعلوم الدينية هذا ولا نشك بأنه يكون بعد اتقان القراءة والكتابة وتعلم العلوم الآلية نعم نحن لا ننكر بان في كلام سبنسر غلوا لأن من رأيه ان ينصرف جميع الناس الى العلوم

(١) كتاب التربية لسبنسر

الطبيعية لأنها تنتج معرفة حقائق الأشياء واسرار الموجودات ولا نرى رأيه ايضا في النهي عن تعلم التاريخ لأنه اكاذيب وخرافات بل نقول بلزوم تعلم التاريخ لأنا نقف به على احوال الماضين وسير الغابرين فنتأسى بالمحسنين وننكره المسيئين ونبصر بام العين تخليد ذكر المرء وعمله ان كان خيرا او شرا وليس التاريخ عبارة عن اكاذيب كما يتوهمون وانما هو حقائق راهنة نعم يوجد في بطون التاريخ كثيرا من الاكاذيب التي لاتنطبق على عقل ونقل بيد ان الباحث البصير يميز غثها من سمينها فيجب ان يكون المعلم عاقلا خبيرا بضروب التاريخ واساليب التبيين ليبيّن للطالب مايجوز وقوعه وما لايجوز ويفهمه اسباب الحروب وعدم جواز وقوعها الا لضرورة وينفره من سفك الدماء واتيان الشرور المشحون بها التاريخ

وخلاصة المقال بان الطرق التي كان يجري عليها اسلافنا في التعليم والعلوم الخاصة التي كانوا يعلمونها ويتعلمونها لايجب علينا ان نتحداها بل ينبغي لنا اختيار ما يوافق زماننا ومكاننا وتقديم الاهم على المهم والا فمثل من يعلم ولده العلوم الادبية كقرض الشعر وما شاكله ولا يعلمه العلوم الطبيعية والرياضية التي توصله الى امور عملية تعود عليه وعلى بلاده في النجاح والفلاح كمثل من يشتري الفواكه والمشروبات وليس في بيته كسرة خبز يقتات بها

قلنا ولم نزل نقول ان افضل المدارس هي المدارس الوطنية لانها تشرب الولد من صغره حب وطنه ولغته وامته بخلاف المدارس الاجنبية فانها مهما حاولت البراءة من سلبنا وطنيتنا فلها من اعمالها عليها شواهد وان الحركة الفكرية في سوريا والعراق تبشرنا بتكثير سواد الكليات الوطنية فعسى ان يبقى بنو قومنا مجدين في سيرهم غير منثنين عن عزمهم وعلى

الاغراض الشخصية لا يكون لها في هذه الاعمال من رسم ولا اثر لأن جل اعمالنا بل كلها تشاب بشوائب عدم الاخلاص فتكون صيحة في واد او نفخة في رماد وربك بالمرصاد

اما التعليم الاستبدادي الذي لا يربأ في التلميذ عن مزالق الاهانة ولا يحيد به عن الذل والاستكانة فضرره اكثر من نفعه

هـذا وقد نفرد لتعليم المرأة بحثاً خاصاً لما له من الاهمية مختتمين مقالنا بقول شكسبير الشاعر الانكليزي (ان الشقاء والسعادة نتيجة التربية) والتعليم والتربية متلازمان غالبا فليتق الله من بيدهم ازمة هذه الامة في تربية الناشئة وتعليمها فانهم مسوءولون امام الحكم العدل عنها وكل راع مسوءول عن رعيته والله ولي السداد

* * * * *

صحف تاريخية

زبدة تاريخ الدولة الاسلامية

ظهر الاسلام على مظهره افضل الصلاة والسلام في سنة ٦١١ للمسيح وذلك بدعوة النبي القرشي محمد (صلى الله عليهِ وآله وسلم) وقد عاش عليه السلام ٦٣ سنة ٤٠ قبل النبوة و ٢٣ بعدها وكانت ولادته ووفاته وهجرته في يوم واحد وهو يوم الاثنين في ٢٥ ربيع الاول وقد اسلم على يده في السنة الاولى من المشاهير علي وابو بكر وعثمان والزبير وعبد الله بن مسعود وابو ذر رضي الله عنهم وقد غزا عدة غزوات اشهرها بدر وأحد

ولم يقبض (عليه السلام) الا بعد ما اشتد عضد الاسلام وقوي ساعده ولما ادركته الوفاة بويع لأبي بكر (رضي الله عنه) في الخلافة بعد هرج ومرج وتوفي في ٢٣ جمادى الثانية سنة ١٣ هجرية وعمره ٦٣ سنة ومدة خلافته سنتان وثلاثة اشهر و ١٣ يوما وقد امتد في زمنه الاسلام وفتحت الشام وقبل وفاته عهد بالخلافة الى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ومدة خلافته عشر سنوات وستة اشهر الا يوما واحدا وعمره ٦٣ سنة وقد قتله ابو لوءلوءة غلام المغيرة وانتشر مدة خلافته الاسلام انتشارا عظيما وقد افتتح عدة بلدان منها القدس الشريف واكثر مدن سوريه والعراق وفارس وكان يضرب بعدله المثل وقبيل استشهاده جعل الخلافة شورى بين سته وهم علي بن ابي طالب وعثمان بن عفان وطلحة بن عبدالله والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص ففاز بها عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وقتل سنة ٣٥ هجرية وعمره ٨٢ سنة ومدة خلافته اثنا عشر سنة وكان سبب قتله هياج الناس عليه لامور انكروها وقد فتحت في زمنه قبرص وقسم من افريقيا والاندلس وأتم فتح بلاد فارس

ثم اجتمع الناس على علي بن ابي طالب (عليه السلام) فقلدوه الخلافة بعد الحاح ولجاج وقد قتله ابن ملجم في ٧ رمضان سنة ٤٠ للهجرة وعمره ٦٣ سنة وكانت مدة خلافته ٤ سنوات وتسعة اشهر وحدث في زمنه حرب الجمل وصفين والنهروان مع ام المؤمنين عائشة ومعاوية والخوارج

وبعد استشهاده عليه السلام بويع لابنه الحسن في الخلافة ولم يطل الامر حتى تنازل عنها لمعاوية بن ابي سفيان لما رأى من خذل اصحابه له وقد توفي مسموما سنة ٤٩ هـ وعمره ٤٧ سنة وكان انتقال الملك العضوض لبني امية سنة ٤١ للهجرة ورأس ملوكهم معاوية واحسنهم سيرة عمر بن

عبد العزيز عليه الرحمة وآخرهم مروان بن محمد وعددهم ١٤ ملكا ومدة حكمهم ٨٠ عاما وقد اتسع ملكهم اتساعًا عظيما وبلغ عدد المسلمين في ايامهم ٤٩ مليونا وقد تولى بعدهم العباسيون بدعوة ابي مسلم الخراساني واول ملوكهم العباس الملقب بالسفاح تولى الخلافة سنة ١٣٣ للهجرة واشهرهم الرشيد وولده المأمون وآخرهم المستعصم بالله ومدة ملكهم ٥٢٤ عاما وعدد ملوكهم ٣٧ ملكا وكانوا في اواخر ايامهم اسما بدون رسم وقد تعاقب في اثناء ذلك على الدولة الاسلامية عدة ملوك فمنهم الامويون في الاندلس والفاطميون في مصر والايوبيون في الشام وبنو بويه في فارس وبنو حمدان في حلب وغيرهم ممن يطول الشرح بتعدادهم ثم انتهت الخلافة الى العثمانيين ورأسهم السلطان عثمان وذلك سنة ٦٩٩ للهجرة وعدد ملوكهم خمسة وثلاثين ملكا ومنهم السلطان محمد الفاتح الذي افتتح القسطنطينية وتاريخ افتتاحها (بلدة طيبة) ٨٥٧ ولم يزل الملك في حوزتهم والسلطان الدستوري الحالي الآن هو السلطان محمد رشاد خان الخامس ايده الله ووفق رجال دولته للاخذ باسباب الرقي والعمران انه بالاجابة جدير

سيسأل الناس

سيسأَل ناس ماقريش ومكة ... كماقال ناس ماجديس وماطسم
ارى الوقت يفني انفسا بفنائه ... ويمحو فمايبقى الحديث ولا الرسم
لقد جدّ اهل الملعبين فأثلوا ... بناء ولم يثبت لرافعه وسم
وفي العالم الغاوي بخيل مموّل ... وسمح فقير شدّ ما اختلف القسم
وكون الفتى في رهطه نيل عزة ... على ان داء الدهر ليس له حسم
ويرزأ جسم المرء حتى اذا اوى ... الى العنصر الترابي لم يرزأ الجسم

ابو العلاء المعري

تاريخ صيداء

تابع لما في الجزء الثاني عشر صفحة ٤٥٦

تاريخها المتوسط

من المعلوم المقرر ان الشرائع تنزل حسب احتياجات البشر ويراعى فيها الزمان والمكان ولا يكون نزولها الا بواسطة رسل بررة معصومين عن المعاصي والمعائب منزهين عن المفاسد والشوائب ولما مضى على بدء الخليقة ستة آلاف سنة بعث المسيح بن مريم (عليه السلام) بدعوة من ربه الى هداية البشر من الضلالة وانزل عليه الانجيل الذي يرمي به الى تزهيد الناس في الدنيا لأن الناس آنئذ كانوا انصرفوا الى الملذات الحيوانية والاعمال الجسمية وغفلوا بتاتا عن الامور الروحية وكان استبداد اليهود من جهة وظلم الرومان من جهة اخرى ضاربا بجرانه وملقيا بعنانه لأيدي فجرة كفرة يعصون الله ولا يفعلون مايؤمرون

وقد اعتمد جمهور النصارى على اربعة اناجيل وهي انجيل متى ومرقص ولوقا ويوحنا وطرحوا ماسواها على انا نعتقد نحن معشر المسلمين بتحريف هذه الاناجيل لأن الانجيل المذكور في القرآن هو الذي يأمر باعتقاد وحدانية الله جل شأنه وان عيسى بن مريم بشر لا اله وهو الذي يبشر في النبي العربي (عليه الصلاة والسلام) ومهما يكن من الامر فأن الامور التاريخية تؤخذ من الانجيل ويعتمد عليها لعدم الحاجة الى تبديل كلمها عن مواضعه وكل امرئ حر بما يدين

علمت ان الرومانيين استولوا على سورية وانتزعوها من السلوقيين بعد حرب وكفاح وكان ذلك حوالي سنة ٦٥ قبل المسيح ولما ظهر (عليه السلام) كانت سورية ومن جملتها صيداء بيد الرومان ودامت بعد ذلك زمنا طويلا

وفي هذا العهد سميت صيداء ومن المقرر الثابت بان المسيح زارها لأنه جاء في الاصحاح الخامس عشر من انجيل متى (ثم خرج من هناك وانصرف الى نواحي صور وصيداء) وفي الاصحاح السابع من انجيل مرقص (ثم قام من هناك ومضى الى تخوم صور وصيداء) وفي الاصحاح الرابع من انجيل لوقا (ولم يرسل ايليا الى واحدة منها الاالى امرأة ارملة الى صرفة صيداء) وقد ظن البعض بأنه لم يدخل صيداء بل اتى الى تخومها على ان المحققين يذهبون الى انه دخلها ومنهم الدكتور پوست صاحب قاموس الكتاب المقدس ومن الذين سمعوا وعظ المسيح اناس من اهل صيداء لما جاء في الاصحاح الثالث من انجيل مرقص (والذين حول صور وصيداء جمع كثير اذ سمعوا كم صنع اتوا اليه) وفي الاصحاح السادس من انجيل لوقا (ونزل معهم ووقف في موضع سهل هو وجمع من تلاميذه وجمهور كثير من الشعب من جميع اليهودية واورشليم وساحل صور وصيداء الذين جاءوا ليسمعوه ويشفوا من امراضهم) وجاء في الاصحاح الحادي عشر من انجيل متى (ويل لك يا كورزين ويل لك يابيت صيدا لأنه لو صنعت في صور وصيدا القوات المصنوعة فيكما لتابتا قديما في المسوح والرماد ولكن اقول لكم ان صور وصيدا تكون لهما حالة اكثر احتمالا يوم الدين مما لكما.) وفي الاصحاح العاشر من انجيل لوقا مايقرب من هذا وفيه من المدح لصيداء مالا يخفى ومنه نعلم ان بعض الصيداويين آنئذ دانوا بدين النصرانية ولا يبعد ان تكون النصرانية انتشرت انتشارا عظيما بعد المسيح فدان بها كل سكان صيداء او جلهم حتى انه كان لصيداء من مشاهير الكهنة مادوّن ذكرهم التاريخ ويدلك على ذلك ايضا مرور بولس الرسول في صيداء لتفقد المسيحيين بها وذلك حين ذهابه الى رومه كما نص عليه الكتاب

فمن مشاهير اساقفة صيداء في القرن الثالث زينو بيوس مـوءلف كتاب سورية المقدسة وقد قتل مع جملة كهنة في ايعاز الملكين ديوكلتيان ومكسيميان من ملوك الرومان واشتهر في القرن الخامس دميانس من اساقفتها ايضا واندراوس في القرن السادس

وقد اقام الرومانيون في سورية زهاء نيف وسبعماية سنة كانوا يسومون اهلها الظلم والارهاق ولا شك بأن صيداء كانت داخلة تحت حكمهم غير انها لم يكن لها في هذا الدور تلك العظمة التي نالتها قبلا وقد غزيت سورية مرارا من ملوك الفرس فكانوا تارة يغلبون وطورا يغلبون غير ان قدم الرومان ثبتت بها الى ان ظهر الاسلام على مظهره السلام وكان عمال الرومانيين تارة وثنيين وطورا مسيحيين وملوك رومية منهم من يضطهدون المسيحية فيسعون في خنق انفاسها ومنهم من يحبون اعلاء كلمتها وانارة نبراسها

ومن الغامض تمام الغموض معرفة احوال صيداء تماما في زمن الرومانيين من علمية ودينية وتجارية وزراعية واقتصادية الخ حتى ان التاريخ قـد يوضح لنا امرها في زمن الفينيقيين اكثر من زمن الرومانيين وما ذلك الا لتنبه ذكرها في ذلك الآن وخمولها في زمن الرومان(١)

تاريخها الحديث

علمت ان الشرائع تتنزل بحسب الحاجة اليها موافقة للزمان والمكان ولما بعد العهد في المسيح (عليه السلام) واسترسل الناس في الغواية ولجوا في الطغيان والعماية ارسل الله سبحانه رسوله محمد بن عبد الله بن عبـد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الخ وقد اوحى اليه شريعة كاملة خالية من

(١) مقتبس عن المقتبس وتاريخي سوريه للدبس ويني وقاموس الكتاب المقدس ودائرة المعارف للبستاني وغيرها من كتب التاريخ

كل شائبة جمعت العبادات والمعاملات صالحة لكل زمان ومكان لأنها خاتمة الشرائع ولأنه خاتم الرسل وقد بعث (صلى الله عليه وآله وسلم) نبيًا والشام في ايدي الروم وتحت سيطرتهم ومن جملتها صيداء وكتب الى قيصر الروم يدعوه الى الاسلام ولما اختار (عليه افضل الصلاة والسلام) جوار ربه تولى الخلافة بعده ابوبكر الصديق رضي الله عنه فجيش جيشا لفتوح الشام بقيادة خالد بن الوليد ولما مات ابو بكر وانتهت الخلافة الى عمر الفاروق رضي الله عنه عزل خالـدا وولى ابا عبيدة بن الجراح قيادة الجيش غير انه كتم ذلك لبعد الفتح فافتتح خالد الشام من جهة بالسيف فخرج اهل الشام من الجانب الآخر وبذلـوا الصلح لأبي عبيدة وكان ذلك بين ١٣ و ١٤ للهجرة اي سنة ٦٣٦ م

«ولما استخلف ابو عبيدة يزيد بن ابي سفيان على دمشق وسار الى فحل سار يزيد الى مدينة صيداء وعرقا وجبيل وبيروت وهي سواحل دمشق وعلى مقدمته اخوه معاوية ففتحها فتحًا يسيرا وجلا كثيرا من اهلها وتولى فتح عرقا معاوية بنفسه في ولاية يزيد ثم ان الروم غلبوا على بعض هذه السواحل في آخر خلافة عمر واول خلافة عثمان فقصدهم معاوية ففتحها ثم رممها وشحنها بالمقاتله واعطاهم القطائع (١)

وانت تعلم مما تقدم بأن صيداء فتحت عند فتوح الشام بـلا فاصل ولكن من كان عاملها آنئذ وكيفية فتحها وحالتها الاجتماعية مجهولة لدينا تماما حتى ان خبر فتحها لم يتعرض له من المؤرخين غير ابن الاثير فالطبري وابو الفداء وغيرهما من الثقات لم يتعرضا لفتح صيداء وفي رواية ابن الاثير

(١) ابن الاثير

مقنع واي مقنع لأنه المؤرخ الثقة الثبت ولم يكن ذلك كله الا لعدم اهميتها في ذلك الحين واذا ثبت ماشاع وذاع من مرور ابي ذر الغفري الصحابي رضي الله عنه في قرية الصرفند حين نفيه في زمن الخليفة الثالث وبثه التشيع في هذه الانحاء فلا بد من ان تكون صيداء آنئذ وما يليها معمورة في المسلمين

وقد روى ابن الاثير وغيره اسم الرجل الذي قتل عبد الله بن عقيل وهو طفل وذلك في واقعة كربلا المشؤومة التي قتل بها الامام المظلوم ابو عبد الله الحسين (عليه السلام) وذلك سنة ٦١ للهجرة وهو عمـرو بن صبيح الصيداوي رماه بسهم فاذا صحت نسبة الرجل الى صيداء فيكون للصيداويين ضلع في مقتل الحسين واصحابه عليهم السلام

وممن نسب الى صيـداء في القـرن الثاني هشام بن الغاز بن ربيعة الجرشي الصيداوي روى عن مكحول ونافع وابن المبارك ووكيع ومات سنة ١٥٦ كما نص على ذلك ياقوت في معجم البلـدان ونقل ايضا عن السمعاني مالفظه

« وممن نسب اليها ابو الحسن محمد بن احمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن جميع الغساني الحافظ الصيداوي رحل في طلب الحـديث الى مصر والعراق والجزيرة وفارس وسمع فأكثر روى عنه ابو الحسن وابو سعيد الماليني وغيرهما وجمع لنفسه معجما لشيوخه ومات بعد سنة ٣٩٤

وروى عن ابن جميع ايضًا عبد الغني بن سعيد الحافظ وهو من اقرانه وتمام بن محمد وابو عبد الله الصوري وعبد الله بن ابي عقيل وابو نصر بن طلاب وابو العباس احمد بن محمد بن يوسف بن مردة الاصبهاني وابو الفتح محمد بن احمد بن محمد بن عبد الرحمن المصري الصواف وابو نصر

علي بن الحسين بن علي الترجمان وابو علي الاهوازي وابو الحسن الجنابي وبلغني ان مولد ابن جميع سنة ٣٠٥ وكان من الاعيان والائمـة الثقات ومات بصيدا في رجب سنة ٤٠٢ واكثر ما يقال له الصيداوي

وجاء في تاريخ سورية للدبس ذكر اسقف من اساقفة صيداء عاش في القرن الثامن المسيحي اي القرن الثاني للهجرة ولكنه ليس صيداوي النشأة وانما نشأ في انطاكية ودخل في الرهبانية فسيم اسقفا على صيداء وله عدة موءلفات نقلها السمعاني في فهرست الكتب الواتيكانية المعلق على أخر المجلد الثاني من المكتبة الشرقية وبيَّن كتبه وموضوعاتها فقال

«الكتاب الخمسون لبولس الانطاكي اسقف صيدا يشتمل على موجز في اللاهوت مقسم الى اثنين وعشرين فصلا وعلى مقالة في مجيء المسيح فنَّدبها مزاعم اليهود ورسالة انفذها الى احد المسلمين من صيدا بيَّن فيهـا ما يقوله النصارى في محمد وسنته وصحة الدين المسيحي ومقالة في البدع يفند بها آراء المبتدعين ومقالة في التثليث والتجسد انفذها الى رجل اسمه ابو سرور وخطبة في تفسير بعض آيات الانجيل ولا سيما قوله من نظر امرأة ليشتهيها الخ وخطبة في الايمان القويم وثمانين بحثا في مـواد شتى وكتاب في ممارسة الفضائل لم يذكر موءلفه واحدى وسبعين قضية مأخوذة عن الاسفار المقدسة هذا ما اشتمل عليه هذا المجلد وهو مكتوب على ورق باللغة العربية واحرفها وعدد صفحاته ١٦٤ صفحة»

وذكر ابن الاثير في حوادث سنة ٤٨١ هـ ما لفظه :

«في هذه السنة خرجت عساكر مصر الى الشام في جماعة من المقدمين فحصروا مدينة صور وكان قد تغلب عليها القاضي عين الدولة بن ابي عقيل وامتنع عليهم ثم توفي ووليها اولاده فحصرهم العسكر المصري فلم يكن

لهم من القوة ما يمتنعون بها فسلموها اليهم ثم سار العسكر عنها الى مدينة صيداء ففعلوا بها كذلك ثم سارا الى مدينة عكا فحصروها وضيقوا على اهلها فافتتحوها وقصدوا مدينة جبيل فملكوها ايضا واصلحوا احوال هذه البلاد وقرروا قواعدها وساروا عنها الى مصر عائدين واستعمل امير الجيوش على هذه البلاد الامراء والعمال»

فأنت تعلم مما مر بك ان صيداء مر عليها زهاء خمسة قرون في زمن الأمويين والعباسيين لم تكن شيئا مذكورا ويدلك على ذلك عدم عناية المؤرخين بها ولم يتعرض لها الا ابن الاثير في كلام قليل كما تقدم الا انّا نعلم من نبوغ بعض رجالها من المسلمين انها كانت زاهرة فيهم وانه كان بها مسيحيون ايضا لسيامة اسقف عليها وكانت البلاد السورية في تلك الآونة بيد ملوك المسلمين الا انها كانت تقع مواقع بينهم وبين الروم يكون الحرب بها سجالا غير ان القوة والغلبة كانتا للمسلمين

وفي اواخر القرن الخامس للهجرة ثارت عصبية مسيحي البلدان الاوربية وقصدوا استخلاص البلاد المقدسه من يد المسلمين لأن حجاج النصارى كانت تسام الخسف وتلاقي الذلة والاهانة والضعف على زعمهم

وقد انشعبت آراء المؤرخين في السبب الدافع الى ذلك ورأس هذه الحركة العدائية فقال صاحب قطف الزهور في تاريخ الدهور ماخلاصته

منشأ الحروب الصليبية رجل يدعى بطرس الناسك كان متزوجا وله اولاد فتركهم وترهب لأسباب مجهولة والتحق في بعض الزوار ولما زار القدس اخذته الحمية لاستخلاص الاراضي المقدسة من ايدى المسلمين فأخذ يتجول في انحاء اوربا مهيجًا وزارعًا فكرته في النفوس وفي الوقت نفسه عقد البابا اوربانوس عدة مجامع في ايطاليا وفرنسا وطرح المسئلة على

بساط البحث ولأجل ترغيب الناس في ذلك اشهر انعامات خاصة لمن يشترك في هذا الامر كالمغفرة للخاطئين وتخفيف بعض الواجبات الى غير ذلك مما اختص به البابا الذي يعتقد النصارى بانه نائب المسيح على الارض (ماعدا البروتستنت والارثوذكس) فنهض بعض الأساقفة وتطوع وتبعه غيره ورسموا جميعا على صدورهم صورة الصليب في اللون الاحمر وجعلوا ذلك شعارهم فسميت الحرب الصليبية

وقد كان ارتحالهم في اثناء سنة ١٠٩٦ للميلاد قاصدين القسطنطينية وكانوا اجناسًا شتى وكان بطرس الناسك المقدم ذكره قائدا للفرقة الاولى وقد عاثوا في طريقهم في الارض فسادا فنفرت الناس منهم ولما وصلوا الى سواحل آسيا التقوا في عساكر المسلمين في نواحي نيقية فولوا ادبارهم وكانت الغلبة للاسلام ولما علم اهل اوروبا بما حل بهم من النكال جردوا حملة ثانية تولى قيادتها كبار الملوك والامراء اه

وقال الامير حيدر الشهابي في حوادث سنة ٤٩٠ هـ = ١٠٩٦م مالفظه «قصد الافرنج السفر لتخليص القدس من يد الاتراك والعرب نظرا لما كان يلقى حجاجهم من الاضطهادات والمضايقات منهم . ولما بلغتهم كتابات بطريرك القدس . وكتابات من فرنسا ومن ايطاليا ومن جرمانيا . وكل من تحركت همته لهذا الجهاد وضع على صدره رسم صليب احمر ثم اتخذوا راية مشتركة عليها رسم الصليب فلقبوا بالصليبين الخ

وذكر في حوادث السنة التي بعدها مايشعر بقدوم الافرنج الى سورية وظفرهم على المسلمين بخلاف رواية صاحب قطف الزهور

وقد اتى المؤرخون العرب منهم والافرنج على ذكر صيداء غير مرة في اثناء كلامهم على الحروب الصليبية مما نذكره في التتابع . والله الهادي يتبع

مختارات ادبية واخلاقية

التقية

تابع (١)

ربما يؤدي التكتم الى القضاء على المبدأ قضاءً مبرمًا بان يذهب اثره من نفوس استعدت له او تكثف حوله سحب الضعف فلا يتأسس عمل لنهضته هنالك يجب العمل لدفع ذلك الخطر ولا بد والحالة هذه من اظهار ماتدعو اليهِ الحاجة من حفظ اصل المبدأ على ان يكون ذلك لبعض الداعين دون البعض الآخر بحيث لو اضر الاعلان بالبعض المجاهر بامره لحفظ الامر البعض المتكتم فيقوم به عند سنوح الفرصة

حمل الانبياء كل اضطهاد ومكروه في سبيل دعوتهم وعملوا بالحكمة حتى اذا اراد الله علو كلمتهم رفع ذكرهم وقويت انصارهم فغلب الحق على الباطل

وربما اتى على صاحب الحق امر ان هو تكتم فيه وهو ولي امره والمقتدى فيه شبّه على اشياعه امرهم وخلط عليهم حقهم المأخوذ عنه بباطل المتقى منهُ حيث يرون صاحبهم اخلد الى السكون فيجب والحالة هذه ان يمكن الحق في نفوس فريق منهم ثم يغامر في لهوات الاخطار ويركب

(١) جاء في المقالة الاولى صفحة ٤٩٢ سطر ٥ خذلانا والصواب خذلان وفي ص ٤٩٥ محمد والصواب محمداً وفي ص ٤٩٦ المحشر والصواب خوف الحشر وفي الصفحة ذاتها سطر ١٤ بعد والصواب بعض فليصحح

متون الصعاب ولو أدى ذلك به الى الهلاك حيث يزيد استبصار ذويه بعمله هذا وتذهب دعوته بذهاب نفسه لأنه حفظها عند قوم آخرين يغارون عليها

بعد جهاد امير المؤمنين علي (عليه السلام) في سبيل الحق واستشهاده في الذب عنه افضى الامر الى الحسن بن علي (عليه السلام) وكان كثير من اصحابه وقادته غووا بالمال من القناطير المقنطرة التي يبذلها معاوية فولعوا بالخلاف وكان من امره معهم بساباط المداين ما كان يوم نهبوا ثقله وكادوا يقتلونه فخطب فيهم معتزلا امرهم ملقيا يده في يد معاوية عام الجماعة على ان يكون له الامر من بعده وعلى شروط اخرى لم يف معاوية بواحدة منها

وبعدان اجاب الحسن دعوة ربه هب معاوية لأخذ البيعة لابنه يزيد فامتنع منها الحسين ولو اعطاها لشبّه على من يرى امامته وامامة اخيه وابيه امرهم وداخلهم الشك في حقهم وان امرا يعتقد شيعتهم انهم احق الامة فيه ثم يرونهم يستهينون به الى حد أن يعطي الحسين بيعته لمثل يزيد شارب الخمور ومرتكب الفجور قبل ان يغضب لله في ارضه ويقوم بدعوته مستنصرا بالله لحقه وبمن اطاعه وقد عرضوا بيعتهم عليه وهم يزيدون على الاثنى عشر الفا ذلك بلا ريب موجب لضياع الثقة بهذا الاعتقاد لهذا ابى الحسين ان يعطي الدنية ويد الذلة

وآثر ان يسعى على جمرة القنا برجل ولا يعطي المقادة عن يد

واما خذلان ناصريه له ونكثهم البيعة بعد ان وقف موقف الابي وخير بين اثنتين اما السلة او الذلة فاختار السلة على الذلة وتلك شنشنة الابي ليس فيها عليه من غضاضة ولا سبة ولا تصح منها نسبة التهور اليه بعد ذلك

لو اخلد الحسين في مثل تلك الحال الى التقية والمداراة وهو الناهض بطلب الحق والامام المقتدى لشبه على الناس امرهم ففدى حقه بنفسه ولما انهزم ابن الاشعث كان في عسكره جمهور القراء والعلماء اخذ الحجاج من في العسكر اسرى وامره عبد الملك ان يعرض الاسرى على السيف فمن اقر منهم بالكفر خلّى سبيله ومن ابى قتله فقدم اليه عامر الشعبي ومطرف بن عبد الله الشخير وسعيد بن جبير . فاما الشعبي ومطرف فذهبا الى التعريض والكناية وتمسكا بالتقية ولم يصرحا بالكفر فكان قول الشعبي اصلح الله الامير نبا بنا المنزل وانخزل بنا الجناب واستحلسنا الخوف واكتحلنا السهاد وخبطتنا فتنة لم تكن فيها بررة اتقياء ولا فجرة اقوياء فقال صدق والله مابروا بخروجهم عليها ولا قووا خلُّوا عنه وقال مطرف ان شق العصا وسفك الدماء واحناق المسلمين ونكث البيعة لجدير بالكفر فقال خلُّوا عنه وقال سعيد بن جبير ما كفرت بالله منذ آمنت به فضرب عنقه . تستر الشعبي ومطرف بالتقية ما شاء لهما رأيهما وثبت سعيد على التصريح بالحق ففاز اولئك بالسلامة وكان نصيب سعيد القتل ولو اجمعوا كلهم على الظهور في طلب الحق لكان فيه من ذهاب العلم والحق ما الله به عليم ولكن كان الامر ان جهر بعضهم نحفظ سنة الآباء والاستشهاد في سبيل الحق وكتم البعض الآخر فحفظ بتكتمه العلم والدعوة اليه واتخذ طريق الحكمة والسلامة

لم يتمكن الهاشميون من قلب الدولة الاموية الا بما تمسكوا به من بث دعوتهم سرا بحيث نفذت سهامها في الديار البعيدة عن مركز السلطة في خراسان وما والاها اتخذوا تلك الديار البعيدة عن مقر الدولة الاموية مسافة تسعين مرحلة للراكب المجد موطنًا لدعوتهم حتى نمت ولم ترهقها

قوة الامويين حيث كانت تنجم شيئاً فشيئاً وما راع الخليفة الاموي الا والاعلام تخفق والاسنة تبرق حول داره

التقية والشيعة

مازال امر الهاشميين ومن تولاهم بعد عصر الراشدين تقلي مراجله وفريق كبير من المسلمين يرون ائمة اهل البيت احق الناس بالناس واولى امر الامة بالامة وان الامويين غاصبون مستحلون جاسوا في مجلس ليس لهم به حق وما انفك الخلفاء الامويون عاملين على اهلاك هذه العصبية بشديد ضغطهم عليها وتعقبهم اشياع الهاشميين بالمصادرة والقتل وتضعيفهم امرهم الى حدّ ان اخفوا ذكرهم في البلاد التي كانت مركزا لسطوتهم كالشام ونواحيها وحسبك انه لما استوسق الامر لأبي العباس السفاح وفد اليه عشرة من امراء اهل الشام فحلفوا له بالطلاق والعتاق بانهم لايعلمون الى ان قتل مروان ان لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قرابة غير بني امية وكان الهاشميون في زمن معاوية لا يسكتون له عن واحدة ولكن شدة زياد واضرابه اخفت كثيرا من اقوالهم فكانوا يضمرون مايضمرون ولا فرصة لهم في اظهاره

في ذلك العصر ضرب ابن ابي سفيان خطة لين وشدة فبيناً تراه وهو يهب البدر ويبذل الاموال لمثل عبد الله بن جعفر بن ابي طالب وعبد الله بن عباس تراه يسبّ علياً دبر كل صلاة وفي كل قنوت وفي كل اذان بحيث جعلها سنة في قومه وعقبه لم يغيرها الا الرجل الصالح عمر بن عبد العزيز غيَّرها بعد ان رسخت في نفوس قوم بحيث رأوها من الدين وان اهل حران لم يطيعو الامر بتركها في صلاة الجمعة لأنهم قالوا لاصلاة الا بلعن ابي تراب كل ذلك كان ليلاشي العصبية الهاشمية التي شد اواخيها

الوحي واسستها النبوة وتراه قد اهدي اليه رأس عمرو بن الحمق الخزاعي وهو اول رأس اهدي في الاسلام بل هو احد اصحاب رسول الله ويقتل حجر بن عدي واصحابه المخبتين الذين امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر يقتلهم ولا يقبل فيهم شفاعة الشافعين ويقول الحسن البصري في ذلك ويل له من حجر واصحاب حجر ثلاثا وجعلها احد موبقاته نص عليه ابن الاثير في كامله وتراه يطاب ميثما التمار ويقتل رشيدا الهجري ويقتل الحصرمي الذي كتب اليه زياد انه على دين علي ويتتبع خواص اصحاب علي من اهل الكوفة وغيرها فيبيدهم قتلا ومثلة

وبينا تراه يلين جانبه لجليسه ومعاشره ويسكت لتقريع الحسن والحسين وعبد الله بن عباس تراه يسل سيف النقمة بيد زياد دعيّه على كل من اشتم منه رائحة الهاشمية يأخذ بالتهمة ويقتل بالظنة كما نصّ عليه ابن قتيبة في الامامة والسياسة

يفعل ذلك بعامل الاثرة والملك له ولأعقابه من بعده ذلك الامر هو الذي دعاه لأن يدوس بقدمه ماعهد به الى الحسن بن علي وضمنه له عام الجماعة ولا يفي له منه شيء وهو الذي دعاه لأن يرتكب في بيعة يزيد كل محذور فقد دس السم الى الحسن بيد زوجته جعدة بنت الاشعث وقصد المدينة بعد ان قضى الحسن ليستوثق امر ابنه ببيعته اهلها واشرافها له فحملهم على المكروه حتى خافوا على انفسهم واتقى شره وسطوته مثل الحسين والعبادلة وذلك على ماأخرجهُ اهل السير انه لما رأى ان لا يستقيم امر يزيد حتى يأخذ البيعة له من اهل المدينة وفيها مثل الحسين بن علي رضيع الوحي وفطيم العلم وامثال العبادلة عبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير من ابناء المهاجرين الاولين

وسادات قريش فقصدها واخذ هؤلاء النفر باللين تارة وبالشدة اخرى فلم يغن شيئاً فجمعهم وهو راجع من مكة اليه وقال اني احببت ان اتقدم اليكم وقد اعذر من انذر اني كنت اخطب فيكم فيقوم اليّ القائم منكم فيكذبني على رؤوس الناس فاخفي ذلك واصفح واني قائم بمقالة فاقسم بالله لئن رد احدكم عليّ كلمة في مقامي هذا لاترجع اليه كلمة اخرى حتى يسبقها السيف الى رأسه فلا يبقين رجل الا على نفسه ثم دعى صاحب حرسه بحضرتهم فقال له اقم على رأس كل رجل من هؤلاء رجلين ومع كل واحد سيفه فان ذهب رجل منهم يرد علي كلمة بتصديق او تكذيب فليضرباه بسيفهما ثم خرج حتى رقي المنبر فقال ان هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم لا يبرم امر دونهم وانهم قد رضوا وبايعوا ليزيد فبايعوا على اسم الله تعالى فبايع الناس وكانوا قبل ذلك يتربصون بيعة هؤلاء النفر ثم ركب رواحله وانصرف ولما سألهم الناس عن البيعة قالوا ما بايعنا قالوا ما منعكم ان تردوا عليهِ قالوا كادنا وخفنا القتل

تمسك هؤلاء الرهط بالتقية لما خافوا بأس معاوية وكلهم ابي الضيم حيث كانت السيوف مصلتة على رؤوسهم وما يمنع معاوية من قتلهم ويده مغموسة في دماء خيار الصحابة والتابعين وهو غير مستعظم ولا متأثم وكان من تقيتهم هذه وحفظ انفسهم ان عقد البيعة لأبنه وفتحت فيها من مغلقات الفتنة مالم يسد مادامت الارض والسماء

ان هذه البيعة مع كونها بعيدة عن كل حق ومع نبالة نسب الهاشميين وكريم حسبهم وقربهم من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كل ذلك اسباب لدعوتهم لأنفسهم سرا لولا السلطة القاسية التي بسطها عمال الامويين في العراق (مركز دعوة الشيعة ومجمع رهطهم ومنبت العصبية الهاشمية)

بيد زياد بن سمية ثم الحجاج بن يوسف ويوسف بن عمرو الثقفيين وخالد بن عبد الله القسري بلغ من غيظ هوءلاء من الهاشميين والعصبية الهاشمية ورغبتهم في اضعاف اثرها من النفوس ان يقول الحجاج بن يوسف على المنبر ان عبد الملك بن مروان ولي الله ومحمد رسول الله وولي الرجل خير من رسوله يقولها والناس قريبو عهد بجدة الدين ورونقه فلا يعترض كلامه احد وما كان ذلك الا تقية من بأسه وتفاديا من شره

اخذ هوءلاء واضرابهم في تتبع الهاشميين يصبون الوان العذاب على رأس كل من عرف بالهاشمية او كان في قلبه ذرة منها حتى اذ تتطرق الوهن الى الامويين بانحلال عصبيتهم لعظيم الاستبداد الذي ظهر فيهم والعتو الذي بدا من ابنائهم وحاشيتهم وبما كانت اتباع الهاشمية تعمله تحت ستار التكتم الشديد عقد الهاشميون اجتماعا في الكوفة في مكان يخفى على الواشين وقام عبد الله بن حسن خطيبا فعظّم امر الفتنة في الدين وتعطيل الكتاب والسنة وكان من قوله وقد علمتم انا لم نزل نسمع ان هوءلاء القوم اذا قتل بعضهم بعضا خرج الامر من يدهم وقد قتلوا صاحبهم بالامس يعني الوليد بن يزيد ثم انتهى الاجتماع بعقد بيعتهم لمحمد بن عبد الله بن الحسن وكان فيهم ابو جعفر المنصور وبايع فيمن بايع ثم لما شف حجاب الشدة اظهر اولو التقية امرهم وقامت دعوتهم في خراسان للرضا من آل محمد ثم خصت بابراهيم الامام اخي ابي جعفر المنصور ونبذت بيعة محمد بن عبد الله ولما استوسق الامر لأبي جعفر بعد اخيه السفاح وكان يعلم رغبة الطالبيين في الخلافة أهتم في خضد شوكتهم لتتسق له السلطة ولا يبقى له فيها منازع فقتل محمدا وابراهيم بن عبد الله بن الحسن وتعقب انصارهم وشيعة آل ابي طالب وهو اعرف الناس بهم لأنه

كان منهم فاضطر هوءلاء الى التقية باشد ما كانوا عليه في زمن الامويين وكان النصيب الاكبر من شدته على الامام جعفر بن محمد واصحابهُ واتباعه لعلمهِ بمنزلتهِ بين الناس وفي نفوس الشيعة

فكان يحضره اليه اعنف احضار ثم يرده الى اهله حين يطمئن بهِ . في ذلك العصر لم يكن شيعي علوي يجهر بالقول في مذهبهِ الا اخذ اخذ عزيز مقتدر

ان المنصور بعد ظفره بابناء الحسن تتبع اشياعهم قتلا وصلبا وما بالك بعبد الله بن عطا وقد عرفه بأنهُ طالبي قح ؟ انهُ بقي مستترا بعد مقتل ابي عبد الله بن الحسن الى ان اتتهُ منيته وحملت جنازتهُ فلقيها جعفر بن سليمان العباسي امير المدينة فاخذها وصلبها ثلاثة ايام

ان فئة يبلغ منها الحقد على العلويين ان يوءخذ الميت بعد موتهِ فيصلب ثلاثة ايام كيف يلام العلويون اذا تمسكوا بحبال التقية منها

اخفى الضغط مساكن الشيعة حيث كانت المصادرة والقتل لهم بالمرصاد فلم يطلقوا من قيد الدولة الاموية حتى منوا ببأس العباسية وها انا ذا افرد في المقال نبذة من ما وقع عليهم من الاضطهاد والشدة والبأس

يتبع احمد رضا

* * * * *

كبر النفوس

وأني لمن قوم كأن نفوسهم بها انف ان تسكن اللحم والعظما
كذا أنا يا دنيا اذا شئت فاذهبي ويا نفس زيدي في كرائهها قدما
فلا عبرت بي ساعة لا تعزني ولا صحبتني مهجة تقبل الظلما

المتنبي

شعراء سوريا

في

العصر الحاضر

تابع

الشيخ محمد حسين شمس الدين (١)

للشعر مناظر جميلة ، تروق الناظر ، وتجتذب بلطافة معناها نياط القلب وان من اجملها رواءً واحلاها في العين ، واقربها الى الروح ما تضمنته ابياتها من غزل يذوب رقة ، ويسيل بلاغة ، ولقد ادرك شاعرنا هذا سر الامر عثرت له على ابيات في الغزل ابيات تعد أخذ سحر ، وقطع تبر ، واليكها تتمشى على استحياء

ضحكت بثغر ابيرق ظبياته   فبكت بسفح عقيقهن عيوني
وبدت بليل شعورها قمرا فما   ابقت شعوراً لظباء العين
حيا ديار احبتي عرف الصبا   باريج عرف المسك من دارين
هم ايقظوني للهوى واستخلصوا   طيب الكرى لجفونهم وجفوني
وهم دعوني للغرام واودعوا   جمر الغضا في مهجتي ودعوني
ايصون سر هواهم قلبي عن الـ   واشي وسر العين غير مصون
وروى مسلسل عبرتي خبر الجوى   في وجنتي عن مرسلات جفوني
وعلى شؤوني في الهوى يبدو ضنى   جسمي بحبهم وفيض شؤوني

وقال

عطف الصبا منه اراكة قده   دلا فحياني بوردة خده

(١) ولد في مجدل سلم من اعمال مرجعيون ويقيم الآن في شقراء، وهو كاتب ايضا

رشأ يدير بمقلتيه مدامة   فيظل موفور النهى عن رشده
اشهى الي من الرحيق رضابه   لـو أنه نقع الغليل ببرده
يهتز غصنا في غلالة حسنه   ويضيء بدرا في دجنة جعده
عبث الدلال به فرنح عطفه   واختال يمزج هزله في جده
ادنو ويبعد والصدود طباعه   والظبي آلف ما يكون لضده
ولكم مررت على الكثيب مسلما   طمعا فضن على الكئيب برده
روحي الفداء له وان هو لم يصل   لكنني ارضى بخالص وده
وارحمتاه لخصره من ردفه   اتقل دعص الرمل بانة قده
جال الوشاح بخصره لكنما   فصم السوار لفعمة في زنده
قسما بصبح جبينه وبنون حا   جبه ومرهف جفنه في غمده
ماحلت عن سنن الهوى يوما ولا   جنح الفؤاد ميما عن عهده
ياعادل القد ارعوي لمتيم   قد جرت في شرع الهوى عن قصده
انا في هواك وان نعمت معذب   سل قلب من ذاق العنا عن وجده
خفق الفؤاد خفوق قرطك من جوى   ولهيب خدك ماخبا عن وقده
ورأى محياك الهلال ومن حيا   القى عليه الليل فاضل برده
وبسمت عن ثغر كأن شتيته   برد يعل بذائب من شهده
وتمايلت نشوى معاطفك التي   تهتز عن بان العقيق ورنده
عطفا فديتك بالوصال وما على   ملك الجمال بان يرق لعبده

وقال

اهابت بنعمان الاراك جآذر   غراما بقلبي انهن نوافر
تعرضن لي والقلب خال من الهوى   واعرضن عني والجوى لي مخامر
مشين بنعمان الاراك فشابهت   معاطفها تلك الغصون النواضر

يمسن دلالا في برود من الصبا كما يتثنى للمدام المعاقر
وهل يملك المتبول في الحب قلبه اذا ما رنت والطرف منهن ساحر
كأن القدود المائسات من الصبا غصون النقا قلبي عليهن طائر
ثنت عطفها لما رأت ما يسوئها بياضا برأسي والغواني غوادر
اقلي فهذا الشيب نور شبيبتي وتجمل في الروض النضير الازاهر
ولولا نواك ما تألق بارق بليل شبابي لا ولا ضر نائر
تسعر قلبي فاستنارت مفارقي بنار الجوى والوجد خاف وظاهر

وقال

اصحا فاقصر ام اجد نزوحا في الحب ام ذكر الربوع الفيحا
صب تطارحه الحمائم شجوها فيعود من املائهن طريحا
بكرت عليه العاذلات وربما ضاعفن منه الوجد والتبريحا
ايفيق من سكر الصبابة مغرم مازال يوصل بالغبوق صبوحا
أأجد وجدك ام ذكرت منازلا بلوى العقيق وان رأيت سنيحا
وكذلك الظبي الأغن اذا رنا لايترك اللب الصحيح صحيحا

وله ايضا

ما للحشا من مقلتيك خلاص ابدا ومالي عن هواك مناص
كم صدت طائر مهجة بحبالة من وحف شعرك ايها القناص
تر نو فتجرحني وتجرح ناظري خديك وهنا والجروح قصاص
بسهام نجلاوين يانبالها ترمي ولحظك لاتقيه دلاص

وقال في كامل بك الاسعد احد نائبي بيروت

تعلمت كيما احكمتها قريحتي غنيت بها عن قصد كل بخيل
اذا شئت اسشغني عملت سبيكة واهديتها للكامل بن خليل

محمد جابر (١)

شاعر مجيد ، متوقد القريحة ، عذب البيان ، خاض المعامع الادبية مع الخائضين ، فجلى في المضمار ، وعرف كيف يجر النار الى قرصه ، والماء الى غرسه — اطلعتني الصدف على قسم صالح من جيد شعره ، فراقني منها حسن السبك ، وجودة المعنى والروح الشعرية المتجسمة فيه وسائني انه ودع الشعر وداعا جميلا الى الابد — ولا وداع ذلك القائد الروماني لسهول سوريا ابان انتشار راية الاسلام فوق ربوعها وقد اشار الى ذلك بقولهِ

عفت القوافي والقريض غداة اضحى الشعر كاسد

اليك طرفة من رائق شعره

ايرحم مجروح الفؤاد صريع وترقى لمقروح الجفون دموع
ويطمع صب بالسلو وقلبه يقطعه لـلأبرقين نزوع
سقاها على قرب المزار وشحطه رهام من الطل الرذاذ مريع ·
خذ الصبر واقنع بالخيال فانما رحلن فلا يرجى لهن رجوع
هناك الكرى يا هيف اني بعدكم اليف جوى ظامي الفؤاد صريع
اترحل سعدى والكلال تظلها وتحرق اكباد لنا وضلوع
ويذهب عمري بالتعال والمنى اخوض الدجى والآنسات هجوع
فلا مطرت وادي الاراك غمائم ولا امرعت بالابرقين ربوع
ولا عطفت هيفاء بعدي لهائم ولا نضبت للعاشقين دموع

---

(١) ولد فى قصبه النبطية التابعة قضاء صيدا ويقيم بها يتعاطى التجارة وهو كاتب ايضا

وله ايضا

اغرك لحظ من علية فاتر ودون حماها المرهفات البواتر
وتطمع في سعدى وحول كناسها بذات الغضا والطلح اسد غوادر
تنادي الوحى قلبا بعسفان قدهفا الى الركب يحدوه الغرام المخامر
وتنشد عنه السافيات وانما اقات به نحو العقيق الجآذر
فحتىم ترتاد الغضا وربوعه دوارس بعد الآنسات دواثر
افي كل يوم منك وجد مبرح ودمع على رسم المنازل هامر
وتصعيد انفاس بحزوى وحاجر اما آن ان يثنيك عنهن زاجر
خليلي قتلى الحب في نجدجمة وما هز خطار ولا سل باتر
بنا من غرام المالكية لوعة ووجد باحناء الاضالع ثائر
علاقة حب كان قلبي يسرها زمانا فبثتها الدموع البوادر
الا هل اتاها انني بعد بينها اليف جوى قالي المضاجع ساهر
وما انسى يوم السفح اذ يمموا النقا وقد وخدت في البيد بزل ضوامر
كأني بها والعيس ترفل بالسرى وقد ذرفت بالدمع منها المحاجر
تقول لقد بان الخليط كما ترى وزفت بارقال المسير الاباعر
وقد شتتت ايدي النوائب شملنا فهل انت بعد البين والبعد صابر
اتذكر بالجرعاء من جانب الحمى مواثيق قد شدت عليها الخناصر

وله من قصيدة يقرع بها قومه ويصف حالة البلاد قبل الدستور

ارى الشعراء قد ملأوا الوهادا واوروا في قريضهم الزنادا
اجادوا النظم وابتكروا المعاني وكل سار فيه كما ارادا
فذا شغف ذوي شوقا السعدى وذا دنف غدا يهوى سعادا
ومن باك تذوب حشاه وجدا ومن شاك ينادي والفؤادا

خرافات سروا زمنا عليها ... وما شمنا بها يوما رشادا
فكم من شاعر بلغ الثريا ... وجدّ فجاوز السبع الشدادا
تفنن بالقريض وفاق وصفا ... ولكن ما افاد ولا استفادا
وقد ضاعت حميّتهُ فهلا ... رأى البلوى وما ناب البلادا

ومنها

سلكتم خطة التقليد حينا ... وكررتم لنا معنى معادا
اليس الشعر موهبة فهلا ... صرفناها لما نفع العبادا
اتشغلنا عيون مهى زرود ... اذا ادمت لواحظها الفوءادا
ويكفينا معاتبة الغواني ... وان نصف التداني والبعادا
وما وفت المهى يوما بوعد ... لنا ابدا ولا حفظت ودادا
ولافزنا برشف رضاب هند ... ولا نلنا الاماني والمرادا

ومنها

ايسمح لي سراة القوم فيا ... اقول لهم ولا اخشى انتقادا
بأن الضيم حاق بنا جميعا ... وقد تبعوا التنافس والعنادا
وان حقوقنا سلبت وانا ... قضينا العمر ظلما واضطهادا
وان الغير قد جاروا علينا ... فما ابقوا الطريف ولا التلادا
انرجو العدل من فئة تناهت ... لنا كرها ضميرا واعتقادا

ومنها

نوائب اذرفت منا دموعا ... وما تركت لنا عينا جمادا
تكر مصيبة من بعد اخرى ... فان قلنا ازيح الضيم عادا
اذا جئت القرى الفيت فيها ... وطيس الجور يتقد اتقادا
ترى فيها نساء حاسرات ... جياع الجوف لايافين زادا

تبيت على الطوى غرثى وتمسي | بلا رمق فتكتحل السهادا

ومنها يحرض قومه على مناهضة الظلم

الا هل منقذ ممـا دهانا | فقد هجرت نواظرنا الرقادا
الا هل مشفق يحمي حمانا | عطوف يكشف الكرب الشدادا
احاط بنا البلا وقضى علينا | فما ترك الجميع ولا الفرادا
اناديكم وهل منكم مجيب | ولكن لاحياة لمن ينادى
وقد قضت الشهامة من اناس | جفوا الاصلاح واتبعوا الفسادا!
فمن للخيل يملأها صهيلا | ومن للحرب يعركها جلادا
الى م الضيم والبتار ماض | وهل نبغي لما نلقي ازديادا
وحتى م السكوت وقد غدونا | على الغبراء نفترش القتادا
وهذي نار عسف الغر حاقت | بنا طـرا فاصبحنا رمادا
بكيت دما على الاوطان لما | رأيت الجور فيها قـد تمادى

ومن قصيدة تناهز السبعين بيتا نظمها لغرض خاص وهي خاتمة حياته الشعرية

دع ذكر كاعبة النواهد | وزر المعـالم والمعاهـد
ياهنـد غادرت الصبى | وهوى المهى البيض الخرائد
ياهند ماعيش مضى | بالأبـرقين لنا بعائـد
اعلمت ان الشوق قد | شق الفوءاد ولم يعاود
والقلب ذاب فآب عن | جوب الفيافي والفدافـد
ماهزني نحـو العذيب | جوى ولا عذراء ناهـد
نضبت سواكب عبرتي | فالدمع بعد اليوم جامـد
وتعـودت نفسي الجفاء | المـر والدنيا عوائـد
وصحوت من سكر الشباب | وصرت منذ الآن زاهد

ولقد بلوت بني الزمان فلم ار خلا مساعد
كم ماذق عاهدته وعضدته يوم الشدائد
اسعى له وهو الثقيل خطىً وكم ساع لقاعد
مالي ارى قوما نحوا سبل الخيانة والمفاسد
وارى الاقارب كالعقارب والاحبة كالاساود
ان خانك الادنى فلا عجب اذا خان الاباعد
سائت سرائرهم اذ امتلئت مراجلها حقائد
وحدا بهم داعي الشرور فاخلفوا تلك المواعد
قوم اضاعونا وكم نصبوا المكايد والمصايد
خانوا وقادهم الهوى تعسا له حاذ وقائد
لما تمادى غيهم ايقنت ان الطبع فاسد

ومنها

أأخيّ لا تغضب عليَّ ولا تخل اني مباعد
من رابه قولي فقل مهلا فهذا الف شاهد
صوب بطرفك هل ترى لخصالهم في الكون حامد
واذا سمعت بناكث عهدا فلا تحسبه راشد
تبقى لك الحسنى وليس المرء في الدنيا بخالد
واذا الفتى زرع الشرور فانه للشر حاصد

ومنها

مهلا فبين جوانحي قلب على الايام واجد
اخلقتني نوب فرت كبدى وايام نواكد
ولكم اعاني غصة والله يعلم ما اكابد

حديث عن القوارير

آثار ذوات السوار — تابع لما في الجزء الثاني عشر صفحة ٤٧٢

قال لابنة الخس ابوها يوماً :

اي شيء في بطنك اخبريني به : والا ضربت رأسك ؟

فقالت : ان اخبرتك بما في بطني ، ايكف ذاك عني عذابك اليوم

قال نعم ، قالت : اسفله طعام ، واعلاه غلام ، فاسأل عما شئت

قال : اي المال خير ؟

قالت : النخل ، الراسخات في الوحل ، المطعمات في المحل (١)

قال : واي شيء ؟

قالت : الضأن قرية لاوباء بها ننتجها رخالا (٢) ، ونحلبها علالا (٣)

ونجزها (٤) جفالا (٥) ، ولا أرى مثلها مالا

قال : فالأبل مالك تؤخرينها ؟

قالت : هي اذكار الرجال ، وارقاء الدماء ومهور النساء

قال : فأي الرجال خير

قالت :

خير الرجال المرهّقون (٦) كما خير تلاع (٧) البلاد اوطؤها

---

(١) الجدب وهو انقطاع المطر وانحباس الارض (٢) هي الانثى من اولاد الضان

(٣) المعنى نحلب اللبن الذي يجتمع في ضرعها بعد الحلب الاول

(٤) (٥) نجز شعرها بمرة واحدة (٦) الكرام الاجواد ومن يغشاهم الناس والأضياف (٧) القطع المرتفعة من الارض

قال : ايهم ؟

قالت : الـذي يُسئل ولا يسأل ، ويُضيف ولا يُضاف ، ويصلح ولا يصلح

قال : فاي الرجال شر

قالت : الثطيط(١) النطيط(٢) الذي معه سويط ، الذي يقـول ادركوني من عبد بني فلان فاني قاتله او قاتلي

قال : فاي النساء خير

قالت : التي في بطنها غلام ، تحمل على وركها غلاما ، ويمشي ورائها غلام

قال فاي الجمال خير

قالت : السبحل(٣) الربجل(٤) الراحلة الفحل

قال : اريتك الجدع . قالت لايضرب ولا يدع

قال : اريتك الثني قالت يضـرب وضـرابه وفي قال : اريتك السدس(٦) قالت ذاك العرس[٧]

(امالي القالي)

قيل لهند ما مائة من المعز ؟

قالت : مويل يشف[٨] الفقر من ورائه ، مال الضعيف وحرفة العاجز

(١) الثقيل البطن — البطيء . (٢) الذي يدعي بما ليس فيه انما يتحامل تكلفا

(٣) الضخم من الضب والبعير والسقاء والجارية (٤) لحيم عظيم الخلق

(٥) من البهائم ما قبل الثني ويكون ذلك في الظلف والحافر في السنة الثالثة وفي الخف في السنة السادسة (٦) هو الذي القى السن التي بعد الرباعية

(٧) السن قبل البازل (٨) يظهر ماورائه

قيل وما مائة من الضأن ؟

قالت : قرية لا حمى لها

قيل : وما مائة من الابل ؟

قالت : بخ[1] جمال ومال ، ومنى الرجال

قيل : وما مائة من الخيل ؟

قالت : طغى[2] من كانت له ولا يوجد

قيل : فما مائة من الحمر ؟

قالت : عارية الليل وخزي المجلس ، لا لبن فيحلب ، ولا صوف فيجز

قيل لها : من اعظم الناس في عينيك ؟

قالت : من كانت لي اليه حاجة

(سرح العيون)

٩

الشعثاء وخود وعثمة بنت مطرود البجيلية

كانت عثمة بنت مطرود البجيلية ذات عقل ورأي مستمع في قومها وكانت لها اخت يقال لها خود ، وكانت ذات جمال وميسم وعقل ، وان سبعة اخوة غلمة من بطن الازد خطبوا خودا الى أبيها ، فاتوه وعليهم الحلل اليمانية ، وتحتهم النجائب[3] الفره[4] فقالوا

نحن بنو مالك بن غفيلة ذي النحيين

فقال لهم : انزلوا على الماء

(١) اسم فعل يقال عند المدح والرضا بالشيء (٢) تجاوز

(٣) النياق الكريمة (٤) النشيطة

فنزلوا ليلتهم ثم اصبحوا غادين [١] في الحال [٢] والهيئة ، ومعهم ربيبة [٣] لهم ، يقال لها الشعثاء كاهنة ، فمروا بوصيدها [٤] يتعرضون لها وكلهم وسيم [٥] جميل ، وخرج ابوها فجلسوا اليه فرحب بهم فقالوا :

بلغنا ان لك بنتا ، ونحن كما ترى شباب ، وكلنا يمنع الجانب ، ويمنح الراغب

فقال ابوها : كلكم خيار فاقيموا نرى رأينا

ثم دخل على بنته ، فقال ماترين فقد اتاك هوءلاء القوم ؟

فقالت انكحني على قدري ، ولا تشطط في مهري [٦] ، فان تخطئني احلامهم [٧] ، لاتخطئني اجسامهم ، لعلي اصيب ولدا ، واكثر عددا

فخرج ابوها ، فقال : اخبروني عن افضلكم

قالت ربيبتهم الشعثاء الكاهنة : اسمع اخبرك عنهم

هم اخوه ، وكلهم أسوه [٨] ، اما الكبير : فمالك ، جريء فاتك [٩] يتعب السنابك [١٠] ، ويستصغر المهالك

واما الذي يليه : فالغمر ، بحر غمر [١١] ، يقصر دونه الفخر ، نهد [(١٢)] صقر [١٣]

واما الذي يليه : فعلقمة ، صليب المعجمة [١٤] ، منيع المشتمة ، قليل الجمجمة [(١٥)]

---

(١) مبكرين (٢) الثياب الجديدة (٣) الحاضنة — امرأة الرجل اذا كان له ولد من غيرها (٤) الفناء وهو ساحة امام البيت (٥) الحسن الوجه (٦) لاتتجاوز القدر المحدود (٧) عقولهم (٨) متساوون (٩) هو الذي اذا هم بامر فعل (١٠) اطراف الحوافر (١١) الكريم الواسع الخلق (١٢) الكريم ينهد الى معالي الامور (١٣) كل طائر يصيد وفي الكلام تشبيه (١٤) اذا اختبرت اموره وجد صلبا (١٥) قليل العي

وأما الذي يليه : فعاصم ، سيدٌ ناعم ، جَلِدٌ صارم ، ابيّ حازم [١] ، جيشه غانم ، وجاره سالم

واما الذي يليه : فثواب ، سريع الجواب ، عتيد [٢] الصواب ، كريم النصاب [٣] ، كليث الغاب [٤]

واما الذي يليه : فمدرك ، بذول لما يملك ، عزوب [٥] عما يترك ، يفني ويهلك

واما الذي يليه : فجندل ، لقرنه مجدل ، مقل لما يحمل ، يعطي ويبذل وعن عدوه لا ينكل [٦]

فشاورت اختها فيهم ، فقالت اختها عثمة :

ترى الفتيان كالنخل ، وما يدريك ما الدخل [٧] ، اسمعي مني كلمة ان شر الغريبة يعلن ، وخيرها يدفن ، انكحي في قومك ولا تغررك الاجسام

فلم تقبل منها ، وبعثت الى ابيها انكحني مدركا

فانكحها ابوها على مائة ناقة ورعاتها ، وحملها مدرك فلم تلبث عنده الا قليلا ، حتى صبحهم فوارس من بني مالك بن كنانة ، فاقتتلوا ساعة ، ثم ان زوجها واخوته وبني عامر انكشفوا ، فسبوها فيمن سبوا

فبينا هي تسير بكت ، فقالوا ما يبكيك ؟ اعلى فراق زوجك ؟

قالت : قبحه الله ، قالوا : لقد كان جميلا

قالت : قبح الله جمالا لا نفع معه ، انما ابكي على عصياني اختي ، وقولها ترى الفتيان كالنخل ، وما يدريك ما الدخل

(١) الضابط الامر والآخذ له بالثقة (٢) الحاضر المهيأ (٣) الاصل
(٤) الليث الاسد والغاب الاجمة من القصب (٥) مبتعد (٦) لا يجبن
(٧) ضربته مثلا لذي المنظر لا خير عنده

واخبرتهم كيف خطبوها — فقال لها رجل منهم يكنى ابا نواس شاب اسود افوه [1] مضطرب الخلق :

اترضين بي على ان امنعك من ذئاب العرب ؟

فقالت لأصحابه : اكذلك هو ؟

قالوا : نعم ، انه مع ماترين ، ليمنع الحليلة ، وتتقيه القبيلة

قالت : هذا اجمل جمال واكمل كمال [2] ، قد رضيت به — فزوجوها منه

(الوسيلة الادبية)

١٠

الزباء بنت علقمة بن خصفة الطائي وامها

نظر الحارث بن سليل الاسدي الزبّاء بنت علقمة بن خصفة الطائي وكانت من اجمل اهل دهرها ، فاعجب بها فقال له :

اتيتك خاطبا ، وقد ينكح الخاطب ، ويدرك الطالب ، ويمنح الراغب

قال له علقمة : انت كفوءٌ كريم ، يقبل منك الصفو ، ويؤخذ منك العفو ، فاقم ننظر في امرك

ثم انكفأ الى امها فقال :

---

(١) الأفوه ذو الفوه وهو سعة الفم وخروج الاسنان من الشفتين

(٢) ان النساء اميل الى الرجل القوي منهن الى الجميل اذا كان جبانا وفي اختيار زوجة موسى (عليه السلام) له لكونه قويًّا امينا دليل على شدة رغبتهنّ بمحبة الابطال

ان الحارث بن سليل سيد قومه حسبا ومنصبا وبيتا ، وقد خطب الينا الزبّاء فلا ينصرفن الا بحاجته

فقالت امرأته لأبنتها

اي الرجال احب اليك الكهل(١) الجحجاح(٢) ، الواصل المناح ٣ ام الفتى الوضاح(٤) ؟ ؟

قالت : لا ، بل الفتى الوضاح

قالت : ان الفتى يغيرك ٥ ، وان الشيخ يميرك ٦ ، وليس الكهل الفاضل ، الكثير النائل ٧ ، كالحديث السن ، الكثير المن

قالت ياامتاه : ان الفتاة تحب الفتى ، كحب الرعاء انيق (٧) الكلا(٩)

قالت : اي بنية ! ان الفتى شديد الحجاب ، كثير العتاب

قالت : ان الشيخ يبلي شبابي ، ويدنس ثيابي ، ويشمت بي اترابي ١٠

فلم تزل امها بها ، حتى غلبتها على رأيها ، فتزوجها الحارث على مائة وخمسين من الابل وخادم والف درهم

---

(١) من وخطه الشيب او من جاوز الثلاثين او اربعاً وثلاثين الى احدى وخمسين

(٢) السيد المسارع في المكارم

(٣) العطاء (٤) الابيض اللون الحسن الوجه البسام

(٥) يتزوج عليك (٦) يأتيك بالطعام

(٧) العطاء (٨) الحسن المعجب

(٩) العشب وما ليس له ساق رطبة ويابسة

(١٠) الترب من ولد مع الانسان

فابتنى بها ثم رحل بها الى قومه فبينا هو ذات يوم جالس بفناء قومه وهي الى جانبه ، اذ اقبل اليه شباب من بني اسد يعتلجون [١] فتنفست صعداء [٢] ، ثم ارخت عينيها بالبكاء ،

فقال لها : ما يبكيك ؟

قالت : مالي وللشيوخ ، الناهضين كالفروخ [٣] ،

فقال لها : ثكلتك امك ، تجوع الحرة ، ولا تأكل بثدييها [٤]

ثم قال لها الحارث :

أما وأبيك لرب غارة شهدتها ، وسبية اردفتها ، وخمرة شربتها ، فالحقي باهلك ، فلا حاجة لي فيك وقال

تهزأت ان رأتني لابساً كبرا — وغاية الناس بين الموت والكبر
فأن بقيت لقيت الشيب راغمة — وفي التعرف ما يمضي من العبر
وأن يكن قد علا رأسي وغيره — صرف الزمان وتغيير من الشعر
فقد اروح للذات القنا جذلا — وقد اصيب بها عيناً من البقر
عني اليك فأني لا توافقني — عور الكلام ولا شرب على الكدر

(مجمع الامثال)

(١) يصطرعون ويقتلون

(٢) تنفس طويل من هم او تعب

(٣) الفرخ كل صغير من الحيوان والنبات

(٤) مثل يضرب في صيانة الرجل نفسه عن خسيس مكاسب الاموال